انعكاسات شبكات التواصل الاجتماعي على منظومة القيم الاجتماعية للشباب

أ/ موني لعمور - جامعة قسنطينة 2

تاريخ الاستقبال: 2018/10/22

تاريخ القبول: 2018/10/30

الملخص:

لقد تناولنا بالدراسة موضوع انعكاسات شبكات التواصل الاجتماعي على منظومة القيم الاجتماعية للشباب لأنه يعتبر من بين أهم مواضيع الساعة المعاصرة التي تستحق الدراسة كون شبكات التواصل الاجتماعي أصبحت أحد مؤسسات التنشئة الاجتماعية إلى جانب الأسرة و المدرسة... و هذا ما جعل لها انعكاسات على حياة الفرد و منظومته القيمية الاجتماعية خاصة فئة الشباب التي تعتبر الفئة الأكثر إقبالا على هذه الشبكات و التعرض لمحتوياتها و المساهمة أحيانا في وضع مضامينها.

و لقد خلصت دراستنا إلى أن إستعمال شبكات التواصل الاجتماعي من طرف الشباب له عدة انعكاسات سلبية على منظومتهم القيمية كقيمة الاحترام، و الجرأة و مخاطبة الجنس الأخر.

وانعكاسات إيجابية تمثلت في قيمة الترابط الاجتماعي و تعزيز العلاقات الاجتماعية بين الأفراد و قيمة التفتح و الإطلاع و قيمة التسامح.

- الكلمات المفتاحية: الانعكاسات، شبكات التواصل الاجتماعي، القيم الاجتماعية.

Résumé:

Nous avons discuté l'impact des réseaux sociaux sur le système de valeurs sociales des jeunes parce qu'il est considéré comme l'un des sujets contemporains les plus importants qui méritent d'être étudiés parce que les réseaux sociaux sont devenus une institution d'éducation sociale en dehors de la famille et de l'école. Ce qui impacté le système de valeur sociale, en particulier chez le groupe de jeunes, qui est la catégorie la plus populaire de ces réseaux et l'exposition à leurs contenus et parfois contribuer au développement de contenu.

Notre étude a conclu que l'utilisation des réseaux sociaux par les jeunes a plusieurs effets négatifs sur leur système de valeurs, tels que la valeur du respect, de l'audace et la conversation avec le sexe opposé.

Et l'impact positif était la valeur de la cohésion sociale, le renforcement des relations sociales entre les individus, la valeur de l'ouverture d'esprit, la connaissance et la valeur de la tolérance.

- **Mots-clés:** réflexions ; réseaux sociaux ; valeurs sociales.

مقدمة

تشهد المجتمعات تحولا كبيرا نتيجة الحركات الشبابية التي اتخذت من مواقع التواصل الاجتماعي منبرا لها، مما أدى إلى تبني استراتيجيات وأساليب في التعامل مع الثقافة الجديدة للشباب التي بلورتها هذه الشبكات والذي أدى إلى الانخراط في العالم الافتراضي باعتباره مجالا مفتوحا يشارك فيه الجميع بغض النظر عن أية اختلافات.

وتشهد مجتمعاتنا في السنوات الأخيرة انتشارا كبيرا لمواقع التواصل الاجتماعي وإقبالا محسوسا من طرف الشباب عليها، فغيرت من عادات مستخدميها وجعلتهم المتحكمين في طبيعة محتوياتها والتي يتبادلونها وينشرونها مع الآخرين بدرجة عالية من الحرية والتعبير والإبداع بدلا من الاستخدام القاصر على متابعة ما تقدمه هذه الشبكات من مضامين.

ولهذا شكلت مواقع التواصل الاجتماعي تغييرا وتطورا كبيرا في تاريخ الإعلام من جهة وحياة الأفراد على المستوى الشخصي والاجتماعي من جهة أخرى، بعد أن تلاشت الحدود والفوارق، وفتحت الأبواب للجميع ليكتبوا أو يرسلوا ما يريدونه في بيئة إتصالية مفتوحة.

ويظهر الدور الكبير لهذه الشبكات الاجتماعية من خلال تجسيدها لمفهوم الاتصال الوسيطى والمساهمة في بناء شبكات اجتماعية وأهمها: موقع "الفيسبوك"، "تويتر"، "اليوتيوب"... وغيرها، ويأتي موقع "الفيسبوك" في صدارة هذه المواقع وذلك لنجاحه في دعم فكرة التواصل مع الأصدقاء والحفاظ على العلاقات وهي الفكرة التي انطلق منها الموقع في البداية.

هذا التغيير في طبيعة التواصل جعل من الشبكات الاجتماعية الوسيلة الأقوى والأعم في التأثير على الأفكار والسلوكيات والعادات والقيم الاجتماعية والثقافية والدينية.... وغيرها نظرا لقدورها على الإقناع المباشر وغير المباشر والذي كانت ثمرته حلية في تقبل المجتمعات لما يبيث ويعرض عليها.

ونظرا لأهمية القيم ذلك لأنها خاصية من خصائص المجتمع ولا وجود لمجتمع إنساني دون قيم، فهي تشكل الملامح الأساسية لضمير المجتمع ووجدانه خاصة إذا ما تعلق الأمر بالقيم الاجتماعية للمجتمع، وفي تشكيل ضمائر أفراد المجتمع مما يؤدي إلى تنظيم السلوك والحفاظ على وحدة الهوية الاجتماعية وتماسكها.

فما هي انعكاسات استخدام شبكات التواصل الاجتماعي على منظومة القيم الاجتماعية للشباب في مجتمعنا.

1- مفهوم شبكات التواصل الاجتماعي:

يشير مصطلح اجتماعي إلى إحدى الاحتياجات الغريزية التي لا غنى للناس عنها في بناء حياتهم فطبيعة الحياة البشرية تقتضي تواصل الناس مع بعضهم بعضا.

والإنسان كائن اجتماعي مثلما عرفه الكثير من الفلاسفة، وكائن اعتمادي منذ لحظة ولادته وحتى موته مروراً بكل محطات حياته الأخرى، فهو لا يعيش إلا في الجماعة، بخلاف الكثير من الحيوانات التي قد تعيش بمفردها، لذلك فإن أي فكرة أو أي اختراع جديد، يتسم بالتفاعل لا بد أن يجد مكانه بين الناس أو فئات من الناس، وهذا ما حققته فكرة أو اختراع "شبكات التواصل الاجتماعي".

فمفهوم الشبكات الاجتماعية ظهر كمصطلح فلسفي اجتماعي منذ القرن الثامن عشر، ولكن الجديد هو تحويله من فرضية اجتماعية إلى واقع تقني عبر الإنترنت ووسائل الاتصال المتقدمة، مما نقل الفرضية إلى الفضاء الإلكتروني وشكلت ظاهرة جديدة على العالم. (01)

والشبكات الاجتماعية « social networking » هو استخدام تطبيقات الإنترنت للتواصل والاتصال بالغير.

يعرفها محمد عواد بأنها: "تركيبية اجتماعية إلكترونية تتم صناعتها من أفراد أو جماعات أو مؤسسا، وتتم تسمية الجزء التكويني الأساسي (مثل الفرد الواحد) باسم (العقدة-Node) بحيث يتم إيصال هذه العقد بأنواع مختلفة من العلاقات. كتشجيع فريق معين أو الانتماء لشركة ما أو حمل جنسية لبلد ما في هذا العالم. وقد تصل هذه العلاقات لدرجات أكثر عمقاً كطبيعة الوضع الاجتماعي أو المعتقدات أو الطبقة التي ينتمي إليها الشخص. (02)

ويعرفها موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة بأنها: تصنف من المواقع ضمن مواقع الجيل الثاني للويب (ويب 2.0)، وتسمى (مواقع الشبكات الاجتماعية) تقوم على المستخدمين بالدرجة الأولى و إتاحة التواصل بينهم سواء أكانوا أصدقاء تعرفهم على أرض الواقع أو كانوا أصدقاء عرفتهم في العالم الافتراضي. (03)

وعرفها "الضراب 2009" بأنها: مجموعة من المواقع على شبكة الانترنت، ظهرت مع الجيل الثاني للويب 2.0، تتيح التواصل بين الأفراد في بيئة مجتمع افتراضي يجمعهم حسب مجموعات اهتمام، او شبكات انتماء (مدرسة، جامعة، شركة، بلد....)

ويرى "الشهري 2008": أنها منظومة من الشبكات الإلكترونية تسمح للمشارك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الاهتمامات والهويات، أو جمعه مع أصدقاء الجامعة أو الثانوية.

وعرفها « Boyd and Ellison 2007 »: بأنها "خدمات تعتمد على الانترنت وتسمح للأفراد بما يلي:

- 1- بناء ملف شخصي عام أو شبه عام ضمن إطار محدد.
- 2- تظهر لائحة المستخدمين الذين يتشاركون مع بعضهم.
- 3- عرض قائمة الاتصال وما قام به الآخرون داخل نفس النظام.

التعريف الاجرائي للشبكات الاجتماعية:

الشبكات الاجتماعية هي مجموعة من المواقع على شبكة الانترنت تتيح للأفراد التواصل فيما بينهم في مجتمع افتراضي يعرفون فيه بأنفسهم ويتبادلون فيه الاهتمام، ويقومون من خلال هذه الشبكات بنشر عدد من المواضيع والصور والفيديوهات وغيرها من النشاطات التي يستقبلون تعليقات عليها من طرف المستخدمين الذين ينتمون لنفس الشبكات ويملكون روابط مشتركة وهذه المضامين التي يتبادلها هؤلاء المستخدمين تحمل العديد من الثقافات والعادات والتقاليد والقيم.

2- مفهوم القيم:

هي الأحكام التي تصدر من الفرد بالتقبل أو التفضيل تجاه المواقف التي تواجهه، فهي محك نحكم بمقتضاه على ما هو مرغوب فيه أو مفضل في موقف توجد به عدة بدائل.

ويعرفها ثورنديك: عبارة عن تفضيلات، وأن القيم تكمن في اللذة أو الألم الذي يشعر به الإنسان.

أما كلاكهون: فيعرفها بأنها "تصورات للتفضيل أو تصورات عن الموضوع المرغوب فيه سواء كان نظاما اجتماعيا أم الشخصية أم العالم الطبيعي، وتتسم هذه التصورات بالعمومية، وهي تصورات تقبلها مجموعة من الناس تضمهم ثقافة واحدة، ويستدل عليها دائما من أشكال السلوك والاتجاهات الخاصة والشائعة.

ومن جهة أخرى يشير « karime owens » أن القيم هي أفكار معيارية توجه السلوك وتزوده بمعايير خارجية وداخلية على نحو ما يكافح الناس من أجله وتزود السلوك بالأساس الأخلاقي" (04)

من خلال مختلف التعاريف التي استعرضناها تبين لنا عدم الاتفاق فيما بين الدارسين حول مفهوم القيم وهذا بسبب غياب نظرية عامة للقيمة تكون صالحة للشرح والتفسير في جميع السياقات. بمعنى تكون خاضعة للثقافة التي تحاول شرح ظاهرة القيم فيها وإنما تكون مستقلة عن أي سياق ثقافي معين وهو الشرط الأساس الذي يجعل منها نظرية عامة وصالحة لكل سياق وهذا الاختلاف في تعريف مفهوم القيمة يمكن إرجاعه على التباين في النظر إلى مصدر القيم هل هو الدين أم الفرد أم المجتمع؟ وكيفيات تجلياتها هل هي قبلية من خلال الأحكام والتفصيلات التي يقوم بها الفرد أم هي بعدية عن طريق سلوكياته أيضا سبب الاختلاف لا يكمن في اختلاف المدارس فحسب وإنما في الغموض الذي مازال يلف مفهوم القيم.

التعريف الإجرائي لمفهوم القيم:

القيم هي الضابط الأساسي للسلوك الفردي والاجتماعي فهي تعتبر صورة المجتمع وتعكس أهدافه، فهي ترتبط بالمصالح والتفضيلات ومظاهر السعادة والمويل والواجبات والالتزامات الأخلاقية والحاجات التي يسعى الفرد لتحقيقها في حياته وهي أنواع القيم الدينية، الثقافية، الأخلاقية، الاجتماعية...

3- القيم الاجتماعية:

من الموضوعات الهامة التي تهتم بها البحوث الاجتماعية، موضوع القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع. وتغير تلك القيم و تطورها، خاصة في مرحلة التغيرات السريعة التي تمر بها المجتمعات المحلية. فلكل مجتمع مهما صغرت وحداته البنائية لديه قيم اجتماعية تسوده، فتتغير هذه القيم وتتطور بتطور المجتمع، وتعتبر مجموعة القيم التي تسود المجتمع، العامل الرئيسي في زيادة ترابط وتكامل وحداته، وتماسك الأفراد حولها من ناحية، وتماسك وترابط عناصر المجتمع ككل من ناحية أخرى. (05)

ويعرف قاموس الاجتماع "فيرتشايلد" القيم الاجتماعية بأنها مواضيع تتعلق بما النفس، وتشعر بالحاجة إليها، أو باستحسانها أو بضرورتها وقد تكون هذه المواضيع حية أو غير حية، مصنوعة أو غير مصنوعة. والمهم أنه يوجد اتفاق عام على أهميتها في المجتمع (06).

ويفهم من القيم الاجتماعية أيضا بأنها جزء من ثقافة المجتمع في مرحلة تاريخية معينة، تعبر عما هو مرغوب فيه اجتماعيا وقد اختلفت الآراء في الأساس الذي تقوم عليه قيم الأشياء هل هي حقائق ذاتية أم اعتبارات ذهنية ترجع إلى تقدير الفرد، أو إلى ظروف المجتمع، وكان ذلك موضع أخذ ورد من قديم بين "الأفلاطونيين، المشائين، الرواقيين، والأبيقوريين، ثم المسيحية، فالإسلام ولكل نظرتة". (07)

من الطبيعي أن تنظر المدارس الاجتماعية نظرات مختلفة إلى موضوع هام مثل القيم، وذلك لاختلاف الأسس النظرية والمنهجية التي تقوم عليها تلك المدارس، ومع ذلك نرى بعض الاتفاق في تعريف القيم التي "هي حقائق تعبر عن التركيب الاجتماعي في أي مجتمع من المجتمعات".

وهو ما يوضح أن للقيم حقائق، أي موجودة بالفعل ووجودها لا يمكن إدراكه أو الإحساس به إلا داخل البيئة الاجتماعية فهي موجودة داخل كل فرد بنسب متفاوتة وبالتالي فهي من مكونات الجماعة. كما أنها تشكل معيار من معايير السلوك الاجتماعي "إن معايير كل مجتمع تميل إلى أن نلتف حول مجموعة أنشطة اجتماعية كبرى، تمارس داخل مؤسسات اجتماعية، فالمؤسسة الأسرية مثلا تنطوي على مجموعة من المعايير التي تنظم العلاقات بين الجنسين وتصيب سلوك الإنجاب بالصبغة الشرعية وتحدد طرق تقسيم العمل" (08).

وبما أن القيم تشكل مقياسا يحدد نوعية السلوك والتصرف، وتتخذ كمصادر الأحكام والمقارنات والبدائل والوسائل والغايات، لذلك فلها أهميتها في حياة الناس وتأثيرها في تكوين سلوك الأفراد وتوجيهه، بحيث يمكن اعتبارها، المحرك أو الدافع الذي يوجه فعاليات الأفراد وينظم العلاقات الاجتماعية. فكما يرى " حليم بركات " أن القيم "تعد مقياسا يوجه سلوكنا فنعمده في عمليات إصدار الأحكام والمقارنة والتقييم والتسوية والاختيار بين بدائل في المناهج والوسائل والغايات. بالإضافة إلى ذلك فالقيم تستمد من المعايير والأعراف والعادات والتقاليد المتبعة في المجتمع. فمثلا من الحرية تستمد معايير كثيرة منها الكفاح من أجل الاستقلال، التمسك بالحقوق وحرية التعبير والتأكيد على السيادة ومن العدالة تستمد المساواة أمام القانون والعدالة في توزيع الثروة. ولذلك فهي التي تكون هوية المجتمع بأكمله. (09)

فنظرا لأهمية القيم كموجهات للسلوك الاجتماعي فما هو تأثيرها على فئة الشباب وما تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على القيم الاجتماعية لهذه الأخيرة.

4- الشباب والقيم:

ينطلق الاهتمام بقضايا الشباب كظاهرة عالمية من الاعتراف بما لديهم من مكانة مميزة في بناء المجتمع المعاصر، ومما لهم من تأثير في مكوناته في مختلف المجالات: الاجتماعية، الثقافية الفكرية والاقتصادية والسياسية، لذا فقد باتت من الضرورة بمكان الاهتمام بأزمات الشباب ودراسة ما يحملون من قيم، ومدى ارتباطهم بالنظام القيمي السائد في المجتمع، وتكمن أهمية الشباب بالنسبة للمجتمع فيما يمثله الشباب من مصدر للتجديد والتغيير، فهم عادة ما يعرفون سوء التحديث في السلوك والعمل، من خلال القيم الجديدة التي يتبناها الشباب بما والتي عادة ما تدخل في مواجهة مع ما هو سائد من قيم تقليدية، ولهذا يعد الشباب مصدرا للتغيير الثقافي والاجتماعي في المجتمع ككل.

ونظرا لكون قيم الشباب في مضمونها وجوهرها متعلمة ومكتسبة من خلال البيئة والثقافة السائدة في المجتمع، فإن دراستها مسألة في غاية الأهمية، سيما وأن عالمنا المعاصر شهد تغيرات متسارعة وتطورات متلاحقة بفعل ظاهرة التفجر المعرفي والتسارع التقني التي أثرت على مجمل نظم المجتمع السياسية والاجتماعية والثقافية والقيمية. (10)

وتأتي أهمية دراسة القيم لدى الشباب كذلك في أنها تتعلق بشريحة اجتماعية هامة لكل المجتمعات ولقد حظيت دراسة القيم لدى الشباب باهتمام العديد من الدارسين والباحثين ولاسيما في منتصف الستينات من القرن الماضي وبداية القرن الحالي.

ويتحدث علماء الاجتماع المعنيين بدراسة الشباب عن مفهوم جديد هو "ثقافة الشباب"، وهو يقصدون بذلك أن الشباب يمثل مرحلة من مراحل النمو الإنساني لها ثقافتها الخاصة التي تعبر عن مجموعة من القيم والاتجاهات والآراء وأنماط السلوك التي تحظى بالموافقة والقبول من تلك الفئة العمرية والاجتماعية لفئة الشباب وفي هذا الصدد يؤكد "بريك" « Brake » أن مرحلة الشباب تميل تميل إلى تطوير نسق ثقافي خاص بهم يعبر عنه بمفهوم ثقافة الشباب « Youth cultur » تلك الثقافة التي تعبر عن تحد صريح لقيم المجتمع وثقافته العامة، بل وللنظم والأنساق الاجتماعية السائدة فيه، أي ان الثقافة الفرعية للشباب تنطوي على شكل من أشكال الانحراف عن الثقافة العامة للمجتمع وذلك لأن الأشخاص الذين يتحدون لجماعات مرجعية ذات ثقافة فرعية يختارون من بينهما ما يحتوي على صور أكثر جاذبية للتراث وحلولا للمشكلات البنائية أكثر وضوحا وهؤلاء الأشخاص الذين يتبنون تفسيرات الثقافة الفرعية غالبا ما تكون لهم منظورات مختلفة للواقع الاجتماعي.

ويركز الاتجاه الاجتماعي على الشباب كمرحلة للأدوار والتجارب والصراع والمواقف الجديدة، حيث تأخذ ملامحه في الحياة المستقبلية بالابتعاد عن العلاقات التي سادت شخصيته خلال الطفولة، وهي المرحلة - أي الطفولة- التي يتعهد بها المربي بالأساليب التربوية البعيدة عن القسر، بينما مرحلة الشباب هي مرحلة النضوج ومحاولة الخروج عن القواعد والثوابت، أي أن الشباب في المنظور السوسولوجي حقيقة اجتماعية أكثر منها ظاهرة بيولوجية أو نفسية، وتبدو خلالها علامات النضج الاجتماعية بصورة واضحة.

فالشباب مرحلة يدرك فيها الفرد المنظومة التقليدية و القيمية، وما تمثله من توقعات على أدواره الحياتية المختلفة حيث تتحدد بموجبها الحقوق والواجبات والتفاعلات ونمط العلاقات الاجتماعية التي ينخرط بها الفرد.

وبما أن عملية تدعيم القيم أو تغييرها لدى الشباب هي وظيفة من وظائف التلفزيون ووسائل الإعلام بصورة عامة، يقول الأستاذ هارولد لاسويل " إن من وظائف وسائل الإعلام تثبيت القيم الاجتماعية التي يتمسك بها المجتمع ونشرها وذلك بما تقدمه هذه الوسائل من خدمات كما أنها إذ تثبت هذه القيم تحاول أن تنال من القيم المغايرة -المعارضة لقيم المجتمع وتبين مناقصتها مستخدمة في ذلك الإيجاء تارة والإغراء تارة أخرى" (11)

وباعتبار شبكات التواصل الاجتماعي عامل من عوامل التغيير الاجتماعي في المجتمع ذلك لأنها أصبحت في الآونة الأخيرة من أكثر وسائل الإعلام إقبالا من طرف أغلب فئات المجتمع عامة وفئة الشباب على وجه الخصوص.

وفي هذا السياق ظهرت العديد من النظريات الاجتماعية المفسرة لهذه الظاهرة وأهمها:

النظرية الحتمية: ونقصد بالنظريات الحتمية تلك النظريات التي تركز في دراستها للتغير الاجتماعي على عامل واحد فحسب وتفترض كل نظرية من هذه النظريات أن عاملا واحدا - كالتكنولوجيا، الاقتصاد، المناخ، الثقافة... الخ هو العامل الوحيد الذي يحرك العوامل الأخرى وتعتبر أن هذا العامل هو العامل الكافي وحده لحدوث التغير(12):

نظرية العامل التكنولوجي: يختلف النظر في تحديد مفهوم التكنولوجيا باختلاف الباحثين وأهم تعريفاتها:

- أنها دراسة القواعد العلمية للفنون والصناعات المستعملة في المجتمعات الرشيدة دون غيرها، فالتكنولوجيا أو التقنية

هي "المهارة في تطبيق المعلومات حسب عمل متواضع لإنجاز مشاريع معينة".

- وتعرف أيضا "بأنها الوسائل التقنية التي يستخدمها الناس في وقت معين من أجل التكيف مع الوسط البيوفيزيقي".

- ويرى وليام أوجيرن" بأنها دراسة التقنيات والأفكار التي تغطي المواضيع المادية، أي أنها تشمل الجوانب المادية للثقافة".

- وهناك من يربط بين التكنولوجيا والعلوم التي تدرس في المعاهد الفنية، والكليات العلمية، مثل الهندسة والميكانيك والكهرباء... (13)

وتتضمن تطبيق العلوم النظرية لتحقيق الغايات العملية والعاجلة للإنسان أي أنها ترتبط بالتطبيق أكثر من ارتباطها بالناحية النظرية، ولاشك أن في ذلك صعوبة في التمييز الواضح بين هذين العنصرين نظرا للارتباط السبيبي بين النظرية والتطبيق.

ويرى أحمد الخشاب بأن التكنولوجيا هي كل ما ابتكره الإنسان للعمل على إشباع حاجاته المختلفة.

علاقة التكنولوجيا بالمجتمع: ترتبط التكنولوجيا بالمجتمع ارتباطا وثيقا، فهي انعكاس لثقافة المجتمع المادية والفكرية، وتعبير صادق عن تقدم المجتمع الحضاري، هذا من ناحية الارتباط أما من ناحية التأثير فالعلاقة جدلية بينهما حيث يؤثر كل منهما في الآخر.

وتشمل التكنولوجيا العلم التطبيقي الذي يؤدي إلى صناعة الأشياء المادية والقائلون بالعامل التكنولوجي - النظرية التكنولوجية- يرجعون التغيرات الاجتماعية إلى التكنولوجيا ومنهم "وليام أوجيرن".

ولا تهتم هذه النظرية بالعامل التكنولوجي اهتماما مجردا بل تهتم بالآثار التي تتركها في المجتمع أي بمعنى آخر لأهمية وظيفتها الاجتماعية. فصناعة السيارة مثلا كآلة تقع في دائرة غير دائرة العلوم الاجتماعية فأثار السيارة واضحة في حياة الناس، وما يتعلق بوظيفتها في المجتمع من حيث الاتصال وتكوين العلاقات بين الأفراد وغير ذلك. وقس على ذلك جهاز الهاتف والمذياع والكهرباء ومختلف وسائل الإعلام الأخرى، فوظيفة المخترعات المادية هي خدمة الحياة الاجتماعية أي إن جوهر التكنولوجيا اجتماعي.

التكنولوجيا والتغير الاجتماعي (14)

ترى النظرية التكنولوجية أن التغير الاجتماعي سببه العامل التكنولوجي، أي أن التكنولوجيا هي علة التغير في المجتمع، وترجع كل التغيرات الاجتماعية إلى أسباب تكنولوجية، وتتوقف طريقة إحداث التغيرات التكنولوجية للتغير الاجتماعي على فهم الطبيعة العلية التي هي في الواقع عبارة عن عملية اضطرابية، أي أن التأثير التكنولوجي لا يتوقف عند إحداث الأثر الأول، بل إن التأثير يتتابع مؤديا إلى آثار مصاحبة، أو مشتقة على هيئة سلسلة مترابطة الحلقات، ولهذا فإن للعامل التكنولوجي أثرا مهما في التاريخ الاجتماعي للمجتمعات ويؤدي إلى تقدمها.

والتقدم في وسائل الاتصال أدى إلى تغيرات اجتماعية بعيدة المدى، ولعل التغيرات التي تشهدها المدينة الحديثة هي نتيجة للتكنولوجيا. وقد بين "وليام أوجيرن" ذلك بوضوح حين قام بدراسة تأثير المذياع على الحياة الاجتماعية، وقد ذهب إلى أن التكنولوجيا أدت إلى تغير في العادات والمؤسسات الاجتماعية بشكل عام.

وترى النظرية التكنولوجية أن أي اكتشاف أو اختراع تقني يؤدي مباشرة أي تغيرات اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية... فإكتشاف الطاقة الذرية أدى إلى تغيرات عميقة في حياة المجتمعات فعلى سبيل المثال أدت إلى حدوث تغيرات في الإستراتيجية العسكرية وإلى قيام علاقات دولية جديدة كما هو الحال بالنسبة للعلاقات التي تحدث جراء استعمال الأفراد لشبكات التواصل الاجتماعي وما ينتج عن هذه العلاقات والتفاعلات الاجتماعية من تغير في السلوكيات والقيم.

كما ساهمت التكنولوجيا في تكوين اتجاهات عدة داخل المجتمع أهمها: التخصص في العمل وتبدو هذه الظاهرة بوضوح كلما تقدم المجتمع في الصناعة وتؤدي إلى ظهور أنظمة قانونية... وغيرها، إيجاد الظاهرة الامبريالية الناتجة عن الثورة الصناعية التي أدت إلى فائض في الإنتاج الصناعي الأمر الذي أدى بالدول الصناعية إلى البحث عن أسواق جديدة لتصريفه وتشكيل الشركات المتعددة

الجنسيات واستيطان العالم الثالث واستعمارها في نهاية الأمر، وإنشاء ظاهرة التبعية حتى بعد الاستقلال، بالإضافة إلى التغير في مجال القيم الاجتماعية كقيمة الوقت، قيمة المرأة، قيمة العمل... فجاءت قيم جديدة تتلاءم والعمل الصناعي، وتزداد التغيرات الاجتماعية بزيادة التراكمات المادية وانتشارها، وأن عمل الإنسان يؤدي إلى تغيره، ويرى "هيغل": "أن الإنسان وهو يعمل على تغيير الطبيعة المحيطة به يغير من طبيعته الخاصة" (15).

ولقد أكدت العديد من الدراسات الميدانية انعكاسات استخدام شبكات التواصل الاجتماعي من طرف الشباب على القيم الاجتماعية نذكر منها:

الدراسة الأولى: شبكات التواصل الاجتماعي وأثرها على القيم لدى طلاب الجامعة "تويتر نموذجاً" دراسة تطبيقية على طلاب جامعة الملك سعود للدكتور فهد بن علي الطيار سنة 2013م
ولقد هدفت الدراسة إلى بيان أثر شبكات التواصل الاجتماعي على القيم لدى طلاب الجامعة من خلال التعرف على الأهداف الفرعية التالية:

- بيان الآثار السلبية المترتبة على استخدام طلاب الجامعة لشبكات التواصل الاجتماعي
 - بيان الآثار الإيجابية المترتبة على استخدام طلاب الجامعة لشبكات التواصل الاجتماعي
 - بيان أثر شبكات التواصل الاجتماعي في تغيير القيم الاجتماعية لدى طلاب الجامعة
- ولقد تم اختيار العينة النهائية 2274 طالباً وطالبة.

وعن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة فهي كالتالي:

أهم الانعكاسات السلبية لشبكات التواصل الاجتماعي تتمثل في:

- التمكن من إجراء علاقات غير شرعية مع الجنس الآخر، الإهمال في الشعائر الدينية... الخ
- أما عن الآثار الإيجابية فتتمثل في:
- الاطلاع على أخبار البلد الذي نعيش فيه
- تعلم أمور جديدة من خلال شبكات التواصل الاجتماعي
- التعبير بحرية عن الرأي
- التمكين من تخطي حاجز الخجل، وأن أهم مظاهر تغيير القيم الاجتماعية نتيجة شبكات التواصل ظهر في تعزيز استخدام الطالب لشبكات التواصل الاجتماعي، القدرة على مخاطبة الجنس الآخر بجرأة.

الدراسة الثانية: تأثير الغزو الثقافي على سلوك الشباب العربي: للدكتور إحسان محمد الحسن، الجامعة الأردنية أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، 2014م-1435هـ، ولقد استهدفت الدراسة النقاط التالية:

- جمع وتصنيف وتحليل وتنظير البيانات والمعلومات والحقائق العلمية عن موضوع الغزو الثقافي لكي تكون معلومات الموضوع متكاملة وناضحة وبالتالي قادرة على حل جميع المشكلات والمعوقات التي يجلبها الغزو الثقافي للأمم العربية الإسلامية.
- تحديد طبيعة المشكلات والتحديات التي يجلبها الغزو الثقافي الأجنبي للشباب على كافة الخلفيات الاجتماعية التي ينحدرون منها وتخفيف آثارها السلبية.
- تعرية مصادر الغزو الثقافي الأجنبي وكشفها على حقيقتها وتوضيح قنواتها الفكرية والإعلامية المستخدمة في عملية الغزو مع تحديد الأساليب النفسية والإعلامية والتأثيرية التي تستخدمها لتحقيق أهدافها، والتأثير في مبادئ وقيم وسلوك الشباب.

وعن نتائج الدراسة فلقد حاول الباحث قياس تأثير الغزو الثقافي في قيم وممارسات الشباب العربي:

- الكشف عن تأثير الغزو الثقافي في قيم الشباب في المجتمع العربي فقد أثبتت الدراسة بأن معظم الشباب والكبار في الأقطار العربية الثلاثة يعتقدون بأن الغزو الثقافي يؤثر تأثيرا واضحا في سلوك الشباب، غير أن الشباب في مصر هم أقل اعتقادا من الشباب والكبار في العراق وليبيا بالآثار العميقة التي يتركها الغزو الثقافي في سلوك الشباب. أما الآثار المخربة التي يتركها الغزو الثقافي في سلوك الشباب فيمكن تحديدها كالاتي: الابتعاد عن الدين وتجاهله وعدم استقامة السلوك والخلاعة والمجون وتقليد الغرب ومحاكاته في كل شيء وعدم احترام الكبار والتطاول عليهم والكسل والخمول والترفع على العروبة والإسلام وضعف العلاقات الإنسانية والدعارة والفساد والخمر والميسر.. الخ

- أما عن تأثير الغزو الثقافي في المعالم الأساسية للشخصية عند الشباب وخلصت إلى ان للغزو الثقافي انعكاسات سلبية وأخرى إيجابية وهامشية كما أنها تساهم في تشويه شخصية الشباب العربي وهذا التشويه يأخذ الأبعاد التالية:

1. ضعف الشخصية

2. ضياع الشخصية

3. انفصام الشخصية وازدواجها

4. استلاب الشخصية

5. زرع السمات السلبية في الشخصية وأهمها: الأنانية و حب الذات، فقدان الثقة بالنفس، الازدواجية أو الانفصام، الانكالية، العنصرية والاقليمية، الكذب والغش، التسرع والتهور، الكسل والخمول.

الدراسة الثالثة: أجراها Keith N.Hampton وآخرون من جامعة بنسلفانيا لمركز الأبحاث الأمريكي American life project وPew بتاريخ 16 جوان 2011 بعنوان مواقع الشبكات الاجتماعية في حياتنا، الدراسة انطلقت من محاولة دراسة التأثير الاجتماعي لاستخدام مواقع الشبكات الاجتماعية مثل my space, facebook, linkedin, twitter حيث طرحت الإشكالية التالية:

هل عزلت الشبكات الاجتماعية الأشخاص وقطعت علاقاتهم الاجتماعية؟ أم انها ساعدت في ربطهم بآخرين؟ وقد قرر كل من مركز « pew » للانترنت American life project دراسة الشبكات الاجتماعية من خلال مسح شامل لها وكيف ارتبط استخدامها بمفهوم الثقة، التسامح، الدعم الاجتماعي والمشاركة السياسية.

وكانت نتائج الدراسة كما يلي:

- من خلال العينة المدروسة تبين أن 79% من الشباب الأمريكيين يستخدمون الانترنت وتقريبا نصف عددهم أي حوالي 47% من أصل 59% من مستخدمي الانترنت يستخدمون على الأقل موقع واحد من مواقع الشبكات الاجتماعية.

- ومن خلال المسح توضح ان facebook هو الشبكة الاجتماعية الواسعة استخداما حيث 92% من العينة يستخدمونه في حين يستخدم 29% موقع my space و18% موقع linkedin و13% يستخدمون موقع twitter.

- هناك فرق كبير في طريقة استخدام الأشخاص لمختلف مواقع التواصل الاجتماعي حيث أن 52% من مستخدمي "الفايسبوك" و33% من مستخدمي twitter يلجؤون إليهما بصورة يومية في حين 7% من مستخدمي my space و6% linkedin يفعلون ذلك. كما توصلت الدراسة إلى أن العلاقات الاجتماعية في أمريكا أصبحت أكثر حميمية مما كانت عليه، وتوصلت أيضا إلى أن استخدام "الفايسبوك" ساعد بشكل كبير في إيجاد علاقات وثيقة بين الأفراد.

وجزاء صغير فقط من مستخدمي "الفايسبوك" في أمريكا لم يلتقوا بأصدقائهم في "الفايسبوك" من قبل. (16)

من خلال عرضنا للدراسات الميدانية السابقة توضح لنا بأن لاستخدام الشباب لشبكات التواصل الاجتماعي وإقبالهم الكبير على استعمالها في حياتهم اليومية انعكاسات عديدة على منظومتهم القيمية الاجتماعية وهي نوعين:

- **انعكاسات إيجابية:** تمثلت في تعزيز وقيمة العلم والعلماء وقيمة العلاقات الاجتماعية التي تصبح أكثر حميمية وتوطد العلاقات بين الأفراد الاطلاع على أخبار البلد الذي نعيش فيه، تعلم أمور جديدة من خلال شبكات التواصل الاجتماعي، التعبير بحرية عن الرأي...

- **انعكاسات سلبية:** تمثلت في انتشار بعض السلوكيات المنبوذة في المجتمع كالجراة ومخاطبة الجنس الآخر، المجون، الدعارة، الخمر والميسر، الأنانية وحب الذات، الكسل والخمول وتقليد الغرب في كل شيء، الغش والكذب وعدم احترام الكبار والتطاول عليهم والابتعاد عن الدين والترفع عن العروبة والإسلام وضعف العلاقات الإنسانية.

خاتمة:

لقد حاولنا من خلال هذا الموضوع التعرض لإحدى الظواهر الرئيسية في جل المجتمعات وهي الشباب، نظرا لما تمثله هذه الفئة ديمغرافيا وإبداعيا واقتصاديا واجتماعيا... وبالتالي فهم موضوع سياسات وانشغالات المجتمعات، والانشغال بقضايا الشباب مثاره السلوكيات الغير سوية والظواهر اللاأخلاقية التي تنتج عنهم من حين لآخر، فكثيرا ما تنسب هذه السلوكيات إلى فقدان الشباب لقيمهم الاجتماعية ومعاييرهم والتنصل من هويتهم الأصيلة.

ومن جهة أخرى تراجع مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالأسرة والمدرسة عن دورها...

ولكن مؤخرا أصبحت كل الجهات تلوم شبكات التواصل الاجتماعي على ما أصبح عليه الشباب فالأولياء يشتكون من إدمان أبنائهم على الانترنت ونزعتهم إلى تقليد ما يشاهدونه والمعلمون ينتقدون الأسرة على عدم القيام بدورها لتحسين الأداء البيداغوجي لأبنائهم، والسلطات العمومية قلقة مما يقوم به بعض الشباب من مخالفات يعاقب عليها القانون.

فمن هذا المنظور حاولنا أن نوظر ولو نظريا هذا الموضوع ونوضح أهم انعكاسات شبكات التواصل الاجتماعي على منظومة القيم الاجتماعية للشباب.

قائمة الهوامش:

- 1- المقدادي خالد غسان يوسف: ثورة الشبكات الاجتماعية، دار النفائس للنشر والتوزيع، الاردن، ط 1، 2013، ص 24
- 2- عواد محمد: شبكات التواصل الاجتماعي الإلكتروني، موقع تأملات، أكتوبر 2014، متاح: (On Line)
http://www.taamolat.com/2010/10/blog-post_7300.htm
- 3- موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، خدمة الشبكة الاجتماعية، 26 جانفي 2018 على الساعة 17:38 متاح. (On Line) :
<http://ar.wikipedia.org/wiki/>
- 4- نخبة من الباحثين: المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الاجتماعية، القاهرة، 1985، ص 504
- 5- إبراهيم محمد عباس: التحديث والتغير، دراسة في مكونات القيم الثقافية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2011 ص 101.
- 6- الزلباني محمد محمد: القيم الاجتماعية مدخلا للدراسات الأنتروبولوجية والاجتماعية، مطبعة الاستقلال الكبرى 1972-1973، ط 1، ص 8.
- 7- مذكور إبراهيم وآخرون: معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1975، ص 473
- 8- جابر سامية محمد: الانحراف الاجتماعي بين نظرية علم الاجتماع والواقع الاجتماعي، دار المعرفة الجديدة الاسكندرية، د ت، 375
- 9- دليو فضيل: العولمة والهوية الثقافية، مقال أ.د رابع كعباش، سلسلة أعمال المنتقيات مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1431هـ / 2010م، ص 77.
- 10- الزيود ماجد، الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2006، ص 39.
- 11- سعفان حسن شحاتة: التلفزيون والمجتمع. مطبعة دار التأليف. القاهرة 1961
- 12- أحمد زايد واعتماد علام: التغير الاجتماعي، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، 2006، ص 42.
- 13- محمد عبد المولى الدقس: التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط 3، 2014م، ص 113
- 14- محمد عبد المولى الدقس: التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 2005، ص 117.
- 15- محمد عبد المولى الدقس، المرجع السابق، ص 119.
- 16- Keith N.Hampton and al.(2011). Social networking sites and our lives.pew Research center's Internet & American life project (online):
<http://pewinternet.org/reports/2014/Technology-social-networks.aspx>